المحاضرة الاولى

تعريف اعجاز القرآن وشروط تحققه

تعريف الاعجاز لغة واصطلاحا:

الاعجاز لغة:مصدر من أعجز يعجز، والاعجاز الفوت والسبق، تقولين:أعجزني فلان:فاتني، ويقال:أعجزه الشيء بمعنى صيره عاجزا عن ادراكه واللحوق به.

الاعجاز اصطلاحا:اثبات عجز البشر عن الاتيان بمثل القرآن الكريم.

وليس الغرض من اعجاز القرآن الكريم هو تعجيز البشر لذات التعجيز، وانما الغرض اظهار أن هذا الكتاب حق ، وأن الرسول الذي جاء به صادق.

وبما أن القرآن معجزة فلا بد من معرفة معنى المعجزة في اصطلاح العلماء، ومعناها:أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة/ يظهره الله على يد مدعي النبوة عند دعواه اياها، فتكون دليلا على صدقه.

وهناك أنواع أخرى من الخوارق تظهر على أيدي فئات من البشر وهي ما يلي:

١. **الكرامة:وتظهر على يد صالح أو تقي، غير مقترنة بدعوى النبوة.**
٢. **المعونة:وتظهر على أيدي بعض العوام تخليصا لهم من شدة.**
٣. **الاهانة:وهي ما يظهر على يد بعض الكفار او الفساق، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.**
٤. **الاستدراج:ما يظهر على يد فاسق أو كافر، من باب الخديعة أو المكر به اي استدراجا له.**
٥. **السحر:وهذا اللون له قواعد تكتسب بالتعليم يقتدر بها الساحر من الاتيان بأشياء غريبة.**
٦. **الشعوذة:وهي خفة في اليد يرى أنها لها حقيقة ولا حقيقة لها.**

شروط تحقق اعجاز القرآن الكريم ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التحدي وأسلوبه:

القرآن الكريم معجزة الاسلام الكبرى، وقد تحدى به النبي ﷺ الناس ومنهم العرب أن يأتوا بمثله، في وقت كان فيه العرب قد وصلوا الى أرقى مستوى لغوي، ومنهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة والبيان، فتحداهم ابتداءا ان يأتوا بحديث مثله، فترك لهم الوقت واستجماع الأمور فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن، فلم يفلحوا ايضا، ثم

تحداهم أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن ويصدق هذا على أقصر سوره وهي سورة(الكوثر)، فلم يستطيعوا، بل انهم لم يحاولوا أساسا، وكما يرى الجاحظ:ان العرب كانوا أذكى من أن يعارضوا القرآن الكريم، لأنهم علموا أنهم لو حاولوا لانفضح أمرهم، ولبان سوء مسعاهم وخيبتهم فيه، وذلك للبون الشاسع والفرق الكبير بين مستوى القرآن وما كان عليه العرب.

<u>الأمر الثاني: قيام المقتضي للمباراة والمعارضة:</u>

العرب كانوا بأشد الحاجة لابطال دعوة محمد ﷺ وتكذيبه، وصد الناس عنه، لأنه قد جاءهم بكتاب يسفه أحلامهم ويسخر من آلهتهم وعقولهم ، فدعاهم الى اتباعه ومفارقة ما كانوا عليه من دين، واعتقادهم أنه رسول من عند الله، فكذبوه وكانت حجته في صدق دعواه هي القرآن الكريم الذي أوحاه الله اليه، فتحداهم أخيرا أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

اذن كانوا بأمس الحاجة لدحض وتقويض تلك الدعوة للابقاء على عقائدهم وعاداتهم التي ورثوها عن آبائهم جيلا عن جيل.

<u>الأمر الثالث: انتفاء ما يمنعهم من المعارضة:</u>

وذلك من وجوه:

1. **جانب اللغة: فالقرآن نزل بلسان عربي وهو لسانهم، وهم أهل البيان وأمراء الفصاحة والبلاغة، وعرف عنهم التميز والابداع في فنون القول من نثر وشعر وخطب وسجع.**
2. **جانب المعنى والقدرة: فلم يكونوا في عجز من قدرتهم الذاتية، أو نقص في عقولهم، بل كانتا موفورتين وهم أولوا الفهم والألباب.**
3. **جانب الزمن: فلم يحدد لهم النبي ﷺ أجلا للمعارضة ولم يحدد زمنا للتحدي حتى يعتذروا، بل ترك لهم الزمن مفتوحا ومتروكا لهم، وكان التحدي مستمرا طيلة فترة نزول القرآن الكريم وهي ٢٣ سنة على الأصح.**

فلما عجزوا بعد تحقق هذه الشروط ثبت اعجاز القرآن الكريم وكان ذلك دليلا على أنه تنزيل من رب العالمين، وان اعجازه باق ومستمر الى يوم القيامة، وتحديه قائم لكافة الناس، وقد أجمع جمهور الأمة الاسلامية قديما وحديثا على هذا.

<u>معلومة هامة:</u>

نؤمن نحن المسلمون بالكتب السماوية المنزلة(التوراة والانجيل)وأنهما وحي الله تعالى الى نبييه موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام، ولكن هل هما معجزين للبشر كما هو القرآن الكريم؟

الجواب: أن التوراة والانجيل ليسا معجزين للبشر وذلك للأسباب التالية:

١. أن القرآن تحدى البشر في العديد من آياته أن يأتوا بمثله، والنبي الكريم ﷺ احتج به على أنه معجزة دالة على صدق دعواه.
٢. أن القرآن الكريم قد تولى الله تعالى حفظه والدليل قوله تعالى:(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون). بينما التوراة والانجيل أودع الله حفظها للبشر، ولكن الرهبان والأحبار تلاعبوا في نصوصهما فحرفوهما عن أصليهما، والقرآن الكريم ينبؤنا عن ذلك اذ يقول:(يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به).
٣. أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وما النبي الكريم الا مبلغ عن ربه، قال تعالى:(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال أيض:(قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد). بينما التوراة والانجيل ألفت من قبل بشر، تتكلم عن بدء الخليقة ومراحل حياة بني اسرائيل منذ عصر موسى عليه السلام ثم الكتب الأخرى وكتب الأنبياء التي توثق حياة بني اسرائيل وظروفهم التي مروا بها، ولم يدع اليهود أو النصارى في كتابيهما أنهما كلام الله تعالى وانما يعتقدون أنه وحي كتبه أناس هم مدونوا التوراة بالنسبة لليهود، والانجيليين الأربعة الذين كتبوا أناجيلهم ورسل المسيح الذين ألفوا رسائلهم وأعمالهم التي قاموا بها عند دعوتهم للأمم خارج مهد المسيحية(فلسطين)، ولكنهم يعتقدون العصمة فيهما لأن الكتبة والرسل قد حظوا بنعمة الحفظ الالهي لأنهم يكتبون نصوصا مقدسة.

المحاضرة الثانية

نشأة دراسة اعجاز القرآن وتطورها

نشأة دراسة الاعجاز:

ترجع نشأة فكرة اعجاز القرآن الى أوائل نزوله وذلك لكونه معجزة النبي الكبرى، الدالة على صدق نبوته، بيد أن موضوع الاعجاز القرآني لم يتخذ شكلا موضوعيا وفنيا آنذاك، لأن العرب أدركوا اعجازه بفطرتهم العربية السليمة، ولهذا كانوا بازائه فريقين:

ـ فريق أصاخ للحق وأعلن استسلامه، فآمنوا به وهم الرعيل الأول ومن تلاهم من الصحابة الكرام.

ـ فريق تولى عن معارضته وأقر بسكوته بهزيمته، جحد الحق كبرا وعنادا.

أولا:أسباب دراسة الاعجاز القرآني:

مضت سنوات كثيرة بعد نزول القرآن ومسألة الاعجاز لم تتخذ شكلا دراسيا ومنهجا فنيا، ثم جاء بعدها عهد تدريس العلوم الاسلامية فدخل الاعجاز في تلك الفترة طورا جديدا، فبدأ البحث في نصوص القرآن وعلومه، ونالت مباحث اعجاز القرآن قسطا كبيرا من جهود العلماء وكان ذلك في أوائل القرن الثاني الهجري، وكان لهذا التطور أسباب وهي:

1. **ابتعاد الناس عن عصر الفصاحة التي كان عليها الناس في زمن نزول القرآن، وما تسبب عنه من ضعف الملكة اللغوية، والتذوق الفطري لفنون البلاغة وأساليب البيان. واختلاط العرب بغيرهم نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى نتيجة دخولهم في الاسلام، فكان هذا سببا في تحول فهم الاعجاز عن الادراك الفطري والتذوق الطبعي، الى الادراك النظري المتأتي نتيجة البحث والدراسة.**
2. **مواجهة التيار المضاد والحركات الطاعنة في النص القرآني، بدعوى وجود التناقض والضعف في أسلوبه، حيث ضم المجتمع الاسلامي كثيرا من الأعراق والأمم كان فيهم ديانات مختلفة وظهر منهم زنادقة ومشككون انبرى لهم علماء الاسلام ولا سيما علماء الكلام واللغة ومن أبرزهم رجال المعتزلة كالنظام والجاحظ ومن رجال اللغة أبو عبيدة والفراء وغيرهم من بقية علماء الأمة للدفاع عن العقيدة وابطال شبهات ومزاعم الشعوبيين والملاحدة والزنادقة. فكانت الغلبة لعلماء الأمة بالحجة والبرهان، وأخمدت تلك الفتن الفكرية في مهدها مبكرا.**
3. **اثبات نبوة نبينا محمد ﷺ لأن الاعجاز القرآني هو الدليل الأعظم على صدق المدعي واثبات النبوة. والايمان بنبوة محمد ﷺ أصل من أصول العقيدة الاسلامية، وكن لهذا السبب الأثر الفعال في نشأة دراسة الاعجاز وتوسع البحث فيه.**

ثانيا:اتجاهات البحث والتصنيف في اعجاز القرآن:

اتخذ البحث والتصنيف في اعجاز القرآن اسلوبين:

الأول: دراسة مسألة اعجاز القرآن بطريق غير مباشر، وذك من خلال الدفاع عن نظم القرآن وأسلوبه، ودفع الشبه والطعون الموجهة اليه.

الثاني:دراسة اعجاز القرآن دراسة مباشرة، فكتبت في ذلك فصول، ووضعت مصنفات، وتطور درس الاعجاز من خلال اتجاهين:

الاتجاه الأول:البحث غير المباشر في الاعجاز: وذلك من خلال جهود علماء اللغة والنحو المدافعين عن القرآن والرد على شكوك وأباطيل الزنادقة والملحدون الذين كانوا يبغون الاتيان على بيضة الاسلام وهي القرآن.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الفراء وكتابه(معاني القرآن)، وابو عبيدة في كتابه(مجاز القرآن)، وجاء بعدهما الجاحظ فوضع عددا من الكتب والرسائل ومنها(البيان والتبيين، الحيوان، حجج النبوة)، ثم ابن قتيبه وكتابه(تأويل مشكل القرآن).

الاتجاه الثاني:البحث والتصنيف المباشر فيه: وقد جاء على طريقتين:

الأولى:التصنيف غير المستقل، ويعني بحث مسائل الاعجاز ضمن مباحث مختلفة تتعلق بالقرآن أو العقيدة، كما جاء في كتب علم الكلام مثل كتاب(الارشاد)للجويني و(أصول الدين) للبغدادي، أو في مقدمات التفاسير مثل تفسير القرطبي، او ضمن مباحث علوم القرآن كما فعل الزركشي في كتابه(البرهان في علوم القرآن)، والزرقاني في كتابه(الاتقان في علوم القرآن).

الثانية:التصنيف المستقل: ظهرت خلال القرن الثالث الهجري وما تلاه كتب في الاعجاز منها(اعجاز القرآن)لأبي عبدالله بن يزيد الواسطي و(دلائل الاعجاز)لعبد القاهر الجرجاني، و(اعجاز القرآن)لأبي بكر الخطابي، و(ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)للرماني والخطابي والجرجاني.

وبذلك انفتح باب التأليف في اعجاز القرآن، ونالت مباحثه اهتمام العلماء، وأصبح علما يدرس في حلقات الدروس كبقية العلوم الأخرى.

واذا كان العلماء قد اتفقوا على اعجاز القرآن فقد اختلفوا في تحديد الوجه المعجز فيه، وتعددت وجهات نظرهم، فهل هو معجز بلفظه أو بمعناه؟ أو هو معجز ببلاغته؟ أو معجز بنظمه؟ او بما جاء فيه من أخبار؟ أو بما احتواه من تشريعات وأحكام؟ أو بايقاعه وتأثيره في النفوس؟ أو بغير ذلك مما يطول من آراء في اعجازه قال بها العلماء؟

تطور آراء العلماء في دراسة اعجاز القرآن الكريم:

تطورت دراسة اعجاز القرآن من خلال بحوث العلماء في الوجه المعجز منه، ويقول ابن سراقة:(اختلف أهل العلم في وجه اعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره).

ودراسة اعجاز القرآن تبقى مفتوحة للاجيال قابلة للتجديد والاضافة على دراسات السابقين بما تتوصل اليه أفهام اللاحقين وحصيلة مداركهم.

وهنا نقدم لمحة موجزة عن جهود العلماء بحسب مراحل تطور دراسات الاعجاز، متسلسلة زمنيا لنقف على أهم علماء الاعجاز، وخلاصة ما ذكره كل منهم كمساهمة في تطور هذا العلم.

القرن الثالث الهجري

في هذا القرن ظهر الطاعنون في اعجاز القرآن من شعوبية وملاحدة ، واخذوا بالطعن في نظم القرآن وبلاغته، فانكروا اعجازه، وصحة معانيه، ومن هؤلاء ابن الراوندي الملحد وعيسى بن صبيح المزدار، فانبرى لهم ثلة من علماء الأمة، وأبرز من يشار اليهم ممن بحثوا في اعجاز القرآن ابراهيم النظام المعتزلي، ثم جاء بعده تلميذه الجاحظ، ووضع مؤلفه الذي سماه(نظم القرآن)وهو رائد القول باعجاز القرآن بالنظم.

كما يشار في هذا القرن الى أبي عبيدة والفراء وابن قتيبة وما قدموه من دراسات جليلة تخدم درس الاعجاز القرآني.

القرن الرابع الهجري

امتاز هذا القرن بدرس الاعجاز والتصنيف المتخصص بوضوح، حيث برز عدد من العلماء الذين قدموا دراسات رائعة، ومن أبرزهم:الرماني والخطابي وابو هلال العسكري ومحمد بن يزيد الواسطي وابو الحسن الأشعري وابن جرير الطبري.

وفيما يلي أهم ما قدم في ذلك العصر:

1. **مذهب الامام ابو الحسن الرماني وذلك من خلال رسالته(النكت في اعجاز القرآن)وهو يرى أن الاعجاز يظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الداعي وشدة**

الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجز.

٢. مذهب ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي، المحدث الأديب الشاعر، وهو يرى اعجازه متحقق من وجوه أوردها في رسالته(بيان اعجاز القرآن) وهي:

أ. النظم القرآني المتحقق في لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم.

ب. اعجازه النفسي، وذلك من خلال صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، ويعتبر رائد القول بالاعجاز النفسي.

كما تكلم عن بلاغة القرآن، وقرر أنها أخذت من كل أقسام الكلام بأحسنه.

٣. مذهب ابو هلال العسكري: ومذهبه في الاعجاز حدده في كتابه(الصناعتين)ويرى أن اعجازه في بلاغته وفصاحته، وانهما يرجعان الى النظم، وحسن التأليف، وعذوبة المعاني، وأثره في النفس، واحداثه تلك الطلاوة في القلوب.

المحاضرة الثالثة

القرن الخامس الهجري

يعد هذا القرن العصر الذهبي لدراسة اعجاز القرآن، حيث برزت فيه الدراسات الأصيلة لقضية الاعجاز، والتي ابتدأت في القرن الرابع الهجري، ونضجت وتكاملت في هذا القرن.
وكان من أبرز علماء هذا القرن:الامام الباقلاني، والقاضي عبدالجبار، والجرجاني، والاسكافي، وابو العلاء المعري، والشريف المرتضى، وابن سراقة، وابن سراقة، وابن حزم الظاهري، وابن سنان الخفاجي، وغير هؤلاء كثير.
وفيما يلي أبرز وأشهر علماء ذلك القرن وخلاصة دراسة كل منهم:

١.مذهب الامام ابوبكر الباقلاني، وقد حدد أوجه الاعجاز في ثلاثة وجوه:

ـ الاخبار عن الغيوب، وضمنه غيب المستقبل والوفاء بالوعد.

ـ الاخبار عن غيوب ماضية، مع أن النبي ﷺ أمي لم يقرأ كتابا ولم يخط بيمينه.

ـ أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.

٢.مذهب القاضي عبد الجبار، وقد بين رأيه في كتابه(المغني في ابواب العدل والتوحيد)وفكرته هي: ان القرآن معجز بنظمه المخصوص، فهو اعجاز كلي لا مجتزأ في أمثلة، ولا يتحقق في افراد الكلام، وانما في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم أن تكون لكل كلمة صفة من (المواضعة، والاعراب، والموقع).

٣.مذهب الامام عبدالقاهر الجرجاني، الاديب المتكلم، المؤسس لنظرية النظم في اعجاز القرآن، وقد بحث قضية اعجاز القرآن في رسالته(الشافية)وفي كتابه الرائد(دلائل الاعجاز)وفي (أسرار البلاغة)وتوصل الى أن اعجاز القرآن كائن في النظم المخصوص، الذي يتحلى في وحدته وبنيته الكلية المعجزة، وركز كثيرا على علم المعاني، وسماه بمعاني النحو.

ورد اعجاز القرآن الى خصائص أسلوبية وراء جمال اللفظ ودقة المعنى، هي المعاني الثانية التي تطرد في جميع الآيات.

القرن السادس الهجري

من أبرز من درسوا فكرة الاعجاز في هذا القرن الامام الغزالي، والقاضي عياض، والزمخشري المفسر، وابن عطيه، وابن رشد، والسكاكي.

١. مذهب الامام ابو حامد الغزالي، فهو وان لم يتناول قضية الاعجاز بصورة مباشرة في كتبه(جواهر القرآن)و(احياء علوم الدين)و(الاربعين في أصول الدين) ، فهو يرى أن

القرآن قد احتوى على كل العلوم الدينية والدنيوية، وان كل علم هو داخل بالجملة في افعال الله وصفاته، وقد شرح القرآن أفعاله وصفاته، فالعلوم كامنة فيه، ودعا الى استخراجها والكشف عنها،
فالغزالي لم يتكلم عن الاعجاز العلمي وانما قصد التفسير العلمي ، الا أنه هو الذي فتح الباب لمن بعده في فكرة الاعجاز العلمي، وأخذ الرازي هذه الفكرة وطبق تلك المقالة.
كما تضمن كلام الغزالي الاشارة الى الاعجاز التشريعي، وأخذها السيوطي لاحقا وطبقها بتفصيل وحماس.

٢.مذهب جارالله محمود بن عمر الزمخشري: وهو لم يضع كتابا خاصا في الاعجاز وانما تناول القضية عمليا في تفسيره (الكشاف)فعنى به الاعجاز البياني في القرآن، وتملى أسلوب نظمه، وخصائص أسلوبه وتراكيبه، ومزايا بلاغته، واخذ يطبق علوم البلاغة ولاسيما علمي المعاني والبيان على الآيات القرآنية، وجعل محورها الأساسي نظرية النظم عند الجرجاني.

٣.مذهب القاضي عياض، وقد أجمل أوجه الاعجاز من خلال كتابه(الشفا)في أربعة وجوه:

أ. حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

ب. وجوه نظمه الجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب العرب ومناهجهم في النظم.

ت.ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما لم يكن ولم يقع، فوقع بعد كما أخبر.

ث.ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة.

أما الأوجه التي عدها من خواصه فهي:

أ.الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ب.كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله بحفظه.

ت.أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة.

مذهب ابو عبدالله القرطبي المالكي المفسر المشهور: وقد لخص رأيه في قضية الاعجاز والوجه المعجز في القرآن في مقدمة تفسيره(الجامع لأحكام القرآن)وذهب الى أن اعجاز يتحقق في عشرة أوجه:

١. النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرهم.
٢. الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.
٣. الجلالة التي لا تصح لمخلوق بحال.
٤. التصرف في لسان العرب على وحه لا يستقل به عربي.
٥. الاخبار عن أمور غيبية من أول الدنيا الى وقت نزوله، على لسان أمي.
٦. الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان.
٧. الاخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها الا الوحي.

٨. ما تضمنه من علم هو قوام جميع الأمم، في الحلال والحرام وسائر الاحكام.
٩. الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر كلها عن آدمي.

١٠.التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف.

ويمكن اعادة تصنيف هذه الوجوه فالأوجه الأربعة الأولى هي تفصيل لوجه الاعجاز النظمي والبياني، والثلاثة بعدها تفصيل للاعجاز الغيبي، والثلاثة الأخيرة في موضوعات القرآن،مما يجعل رأيه يؤول الى ان الاعجاز قائم في النظم والبلاغة، والاخبار بالغيب، وموضوعات القرآن.

المحاضرة الرابعة

القرن الثامن الهجري

من أشهر العلماء الذين بحثوا قضية الاعجاز في هذا القرن:

١.ابن الزملكاني: يقول بنظرية النظم عند الجرجاني.

٢.القزويني: يرى أن الاعجاز بالفصاحة والبلاغة.

٣.ابن تيمية: يرى ان الاعجاز بالبلاغة وباحتوائه على العلوم والأحكام.

٤.ابن قيم الجوزية: وهو يتابع استاذه ابن تيمية، مع امتيازه بالعرض والاستدلال.

٥.ابن كثير: ويقول بالاعجاز البلاغي، وفي موضوعات القرآن، وأثره في النفوس.

٦.الزركشي: جمع أقوال السابقين وأبقى الباب مفتوحا لغيرها.

٧.ابن الزبير الغرناطي: ويذهب الى أن الاعجاز بالنظم، ووضع فيه كتابه الشهير(ملاك التأويل).

القرن التاسع الى القرن الرابع عشر الهجري

في هذه الحقبة الزمنية لا نكاد نجد ابداعا في درس الاعجاز، فليس هناك اضافات جديدة على فكرته السابقة، وقد اكتفى العلماء بترديد ما قاله السابقون، وجمع الأقوال، أو ابداء الرأي فيها، وكان من أشهر من ظهروا في القرن العاشر: السيوطي، وابو السعود صاحب التفسير(ارشاد العقل السليم)، وفي القرن الثالث عشر:أبو الثناء الآلوسي في تفسيره(روح المعاني)، ومحمد الاسكندراني صاحب كتاب (كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية).

القرن الرابع عشر الهجري

وهذا القرن هو العصر الذهبي الثاني لدراسة اعجاز القرآن، كما كان القرن الخامس الهجري العصر الذهبي الأول، فقد ظهر في القرن علماء وأدباء كثيرون تكلموا في قضية الاعجاز، وبحثوا في وجوهه، وابتكروا نظريات جديدة، واكتشفوا فنونا وأسرارا بديعية، تقدمت بها قضية الاعجاز أطوارا بعيدة، ومن أهم وجوه الاعجاز التي أولوها اهتمامهم:

١. الاعجاز العلمي: ومن أبرز دعاته عبدالله فكري، وطنطاوي جوهري، ومحمد متولي الشعراوي، ومحمد مهدي الاستنبولي، وعبدالحميد بن باديس، والشيخ مصطفى المراغي.
٢. الاعجاز العددي: ومن أبرز دعاته عبدالرزاق نوفل، و د.مصطفى محمود.
٣. الاعجاز البياني: ومن أبرز دعاته جمال الدين القاسمي، ومحمد رشيد رضا، ومحمد عبدالله دراز، ومصطفى صادق الرافعي، و أمين الخولي، و بنت الشاطيء، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد ابو زهرة.
٤. الاعجاز التشريعي: ومن دعاته الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبدالعظيم الزرقاني،
٥. الاعجاز الموسيقي ـ الايقاع: ومن دعاته الرافعي، ودراز، وابو زهرة.

وفيما يلي فكرة الاعجاز عند أبرز هؤلاء العلماء:

ـ مذهب محمد رشيد رضا: ويرى وجوه اعجازه هي:

أ. اعجازه بأسلوبه ونظمه.
ب. اعجازه ببلاغته.
ت. اعجازه بما فيه من علم الغيب.
ث. اعجازه بسلامته من الاختلاف والتناقض.
ج. اعجازه بعلومه الدينية وتشريعاته.
ح. اعجازه بعجز الزمان عن ابطال شيء منه.
خ. اعجازه بتحقق مسائل كانت مجهولة للبشر.

ـ مذهب مصطفى صادق الرافعي: ويرى أن الوجه المعجز الأول هو (النظم)، ومظاهر النظم القرآني ثلاثة:

أ. الحروف وأصواتها.
ب. الكلمات وحروفها.
ت. الجمل وكلماتها.

ـ مذهب الشيخ محمد عبدالله دراز: ويرى أن وجوه الاعجاز ثلاثة:

أ. الاعجاز اللغوي، وهو أظهرها ووقع به التحدي.
ب. الاعجاز العلمي.
ت. الاعجاز التشريعي أو الاصلاح الاجتماعي.

خلاصة: هذا عرض موجز جدا لتطور دراسة اعجاز القرآن الكريم، ولا يزال هذا العلم يجد عناية فائقة ومتجددة على أيدي أجيال الأمة البناء على ما أورده الأقدمون مضيفين اليه ما تتوصل اليه مداركهم وأبحاثهم، لأن القرآن الكريم له عطاء متجدد لا ينضب، ينهل منه كل جيل بحسب علو هممهم وثقابة أذهانهم، وتطور مداركهم.

(وجوه اعجاز القرآن لدى المتقدمين)

يجمع العلماء على أن وجه الاعجاز الذي وقع به التحدي وقت نزول القرآن، والذي اعجز العرب عن معارضته والاتيان بمثله هو الاعجاز اللغوي، بمعنى أن أسلوب القرآن ونظمه وبلاغته كانت من السمو والتميز ما أذهل العرب عندما سمعوه، وكانوا هم أهل الفصاحة والبيان والتفنن في أساليب القول، وهذا الوجه هو المجمع عليه من بين الوجوه الأخرى التي تعددت حولها الآراء وتنوعت.

ودراسة وجوه الاعجاز لدى المتقدمين تتطلب عرضها من خلال ستة مباحث:

المبحث الأول: الاعجاز في النظم والتركيب النحوي.

المبحث الثاني:الاعجاز في البلاغة والبيان.

المبحث الثالث:خصائص أسلوب القرآن

المبحث الرابع: الاعجاز في الاخبار بالغيب.

المبحث الخامس: الاعجاز التشريعي

المبحث السادس: الاعجاز العلمي

المحاضرة الخامسة

الاعجاز في النظم والتركيب النحوي

النظم لغة: معناه التأليف كما ورد في لسان العرب وفي القاموس المحيطوالمعجم الوسيط، والمعنى اللغوي المشترك: هو ضم الشيء الى الشيء وتنسيقه على نسق واحد.

النظم اصطلاحا: يستفاد من المعنى اللغوي للنظم بأن المنظوم من كل شيء:ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد. وان معنى نظم القرآن: هو تناسق أجزائه وعباراته التي يشتمل عليها المصحف صيغة ولغة على نسق واحد.

وهذا هو أساس المعنى الذي ذهب اليه الجرجاني في كتابه(دلائل الاعجاز)وربطه بالنحو، فالنظم عنده:(تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)، أو هو:(توخي معاني النحو)، وفصل فكرته بقوله:(واعلم أن ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها).

وقد ضرب لفكرته ومقصده منها أمثلة تبين التنوع في الاستعمال وخصوصية دلالة كل منها، فمثلا ينظر في الخبر الى الوجوه التي يتصرف فيها القول والفرق في دلالته، فنقول(زيد منطلق)و(ينطلق زيد)و(وزيد المنطلق)و(المنطلق زيد)و(زيد هو المنطلق)و(زيد هو منطلق).

ومثال في الجملة الشرطية فنقول(ان تخرج أخرج)و(ان خرجت خرجت)و(ان تخرج فأنا خارج)و(أنا خارج ان خرجت).

ةالمعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، مثل أن نأتي ب(ما)في نفي الحال، و ب(لا)في نفي المستقبل، وب(ان)فيما ترجح أن يكون و ألا يكون، و ب(اذا) فيما علم أنه كائن.

وينظ في الجمل فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، وموضع(أو)من موضه(أم)وموضع(لكن)من موضع(بل)وموضع(الواو)من موضع(الفاء)وموضع(ثم)، وهكذا فيما يتصرف اليه الكلام من التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الذكر والحذف، فيضع كلا من ذلك ويستعمله على الصحة وما ينبغي له.

ويقرر الجرجاني من هذه الوجوه وتصرف القرآن بها فيقول:(لا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، الا أنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه).

ويبين أن الفرق بين هذه الأساليب ليس فرقا في الحركات وما يطرأ على الكلمات، وانما في معاني العبارات، التي يحدثها ذلك الوضع والنظم.

<u>تاريخ فكرة النظم:</u> بدأت بذور هذه الفكرة على أيدي النحاة ومنهم(سيبويه)فقد تحدث عن النظم وائتلاف الكلام وما يؤدي اليه من حسن أو قبح وصحة وفساد.

والمتفق عليه عند المؤرخين أن الجاحظ هو أول من وضع كتابا مستقلا تحت عنوان(نظم القرآن)، كما تحدث عن النظم في كتبه قائلا:(كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه)وقال ايضا:(وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد)، وله رسالة أسماها (حجج النبوة) التي وضعها للاحتجاج لنظم القرآن.

وهو لا يعني بفكرة النظم بوصفها فكرة لفظية ، وانما كان يريد الأسلوب بمعنى أوسع من رصف الألفاظ، وهو ما اشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعه وفواصله.

ثم تلاه محمد بن يزيد الواسطي الذي وضع كتابا بعنوان(اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)لكن هذا الكتاب لم يصل الينا، الا أن الجرجاني قد شرحه بكتابين لم يصلا أيضا، ولكن عنوانه يدل على يعالج فكرة النظم، وشرح الجرجاني له كونهما يلتقيا في قضية النظم.

ثم تلاه الطبري المفسر فنبه الى فكرة النظم بقوله:(ومن أفضل تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ورصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سوره الخطباء، وكلت عن وصف شكله البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء.

كما تحدث ابو سليمان الخطابي عن فكرة النظم في رسالته(بيان اعجاز القرآن)، والذي قال:(اعلم أن القرآن انما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني).

ثم جاء ابو بكر الباقلاني صاحب الكتاب الشهير(اعجاز القرآن)، والذي يرى أن الاعجاز متحقق من ثلاثة أوجه:أحدها:ما فيه من عجيب النظم وبديع الرصف، وأنه لا قدرة لأحد من الخلق على تأليف مثله، ولا تاليف سورة منه، أو آية بقدر سورة..).

تطورت هذه الفكرة(نظم القرآن)على أيدي العلماء بمرور الزمن وتناولها واعتنى بها اللاحقون حتى جاء القاضي عبدالجبار ليوضح مضمونها علميا حتى اعتبر عند بعض المعاصرين أول من حدد فكرة النظم تحديدا علميا.

واتخذت الفكرة لاحقا بعدا جديدا على يد عبدالقاهر الجرجاني، الذي فسر هذه النظرية تفسيرا علميا قائما على أسس من المنطق والاستدلال، ثم تجاوزها الى المعاني الثانية التي سماها (معنى المعنى)لأن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر، فمعنى المعنى أو الدلالة الثانية هي صنو فكرة اللفظ.

تطبيقات وشواهد قرآنية على فكرة النظم:

ـ قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فجاء بكلمة مبصرون كونها اسم ولم يأت بالفعل منها يبصرون، لأن الاسم يفيد الثبوت والاستقرار أما الفعل يفيد الحدوث والتجدد، وهنا البصر صفة لازمة للمتقين، ولو كانت يبصرون لأنبأ القرآن عن تجدد واكتساب فعل لا عود صفة.

ـ قال تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] فجاء بكلمة باسط ولم يقل يبسط لأن القرآن قصد البسط المستمر فجاء باسم الفاعل وليس الفعل الذي يفيد التجدد.

ـ قال تعالى:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] جاء بالفعل نزل عن القرآن وأنزل عن التوراة والانجيل، لأن الفعل نزل يفيد التكرار وهذا ما يناسب تنزلات ونزول القرآن، وانزل مناسبة لنزول التوراة والانجيل كونهما انزل كل واحد منهما دفعة واحدة.

ـ قوله تعالى:﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]وهنا استخدم المصدر مرفوعا في سبيل الواجبات(امساك، تسريح)في الآية الأولى و(اتباع وأداء)في الآية الثانية، بينما استخدم المصدر(ضرب) منصوبا في سبيل المندوبات في قوله تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤]وفي قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]قراءتان للمصدر(وصية)بالرفع واجبة وبالنصب مندوبة.

هذه شواهد للتوضيح وتقريب الصورة عن المقصود بفكرة نظم القرآن، وهذا ما نجده في عوم آيات وسور القرآن الكريم وليست في الشواهد دون غيرها.

المحاضرة السادسة

الاعجاز في البلاغة والبيان

اعتبر الجاحظ رائدا في اكتشاف ما يسمى بفكرة(نظم القرآن)وقد ألف كتابا بهذا العنوان الا أنه فقد منذ القدم وذكره الجرجاني وأشار اليه أيضا، ويعد الجاحظ مؤسس البلاغة العربية حيث أرد لها كتابه(البيان والتبيين)ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظات معاصريه، وتعمق وراء عصره. اضافة الى ما بثه في كتابه(الحيوان)وبما ينبيء بأنه كان ينظر بعمق الى ما يشيع في جو آيات القرآن من تأملات بعيدة المدى، وايحاءات عظيمة.

ومن أبرز مزايا دراسته للأسلوب القرآني ما يلي:

أ. **أن الجاحظ كان ينظر للاسلوب القرآني نظرة عقلية مجردة تتأثر بذوقه واحساسه الخاص، فهي نظرة ذهنية فنية في أساسها.**
ب. **لم تكون تلك النظرة للأسلوب القرآني قاعدة عامة تندرج تحتها تلك اللمحات الفنية، وتنبض في نطاقها كدليل على صحتها، بمعنى أنها كانت تفتقد الوحدة العضوية بين أجزائها المتعددة ، فهي شذرات منتثرة من غير ترابط واتساق.**
ت. **نظر للأسلوب القرآني نظرة جدية باعتبار النظم والتركيب فتحت الباب لدراسات على جانب كبير من الأهمية في أسلوب القرآن، فهي وان كانت نظرات جزئية في آية دون أخرى الا أنها ذات خطر وأهمية.**
ث. **لم تكن الدلالات البلاغية في دراساته القرآنية مقصودة لذاتها لتكون نظرية عامة، وانما كانت انسيابا تأثريا يفيض في بعض المواقف دون بعض.**

ومما هو جدير بالذكر أن الجاحظ أول من نبه بوضوح الى ضرورة استعمال الألفاظ استعمالا دقيقا كما يستعملها القرآن، فلمح الفرق في استعمال القرآن لكلمتي(المطر والغيث)، فالأولى يستعملها في العذاب، والثانية في مقام الرحمة والانعام.

وكان يكشف عن الدلالات الدقيقة للآيات، مشيرا الى ما فيها من استعارات وتمثيلات وتشبيهات ومجازات يقول في قوله تعالى:(طلعها كأنه رؤوس الشياطين)، ان الناس لم يروا صورا للشيطان قط، ولكن الله تعالى جعل في طباع الأمم استقباح جميع صور الشياطين وكراهته، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك، ولذا رجع بالايحاش والتنفير والاخافة والتقريع الى ما قد جعله في طباع الأولين والآخرين، وكل هذا وذاك يوحي بالخوف والرعب، وذكر أن هذا جار على وفق أساليب العرب كقولهم:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة حمر كأنياب أغوال

ولا أحد رأى الغول ولا أنيابه.

٢. جاء من بعده تلميذه ابن قتيبة فوضع كتابه(تأويل مشكل القرآن)ويظهر فيه ابن قتيبة متأثرا بأستاذه الجاحظ في وقفاته البيانية التي تجلي سر الاعجاز في بلاغة القرآن، فقد كان يبين معنى الآيات ويكشف عن دلالاتها من خلال المجاز والاستعارة والحذف والاختصار والتكرار والزيادة والكناية وغير ذلك من الوجوه البلاغية، ويتبين من خلال دراسته ما يأتي:

أ. تأكيد أمر الاعجاز بالتركيب البلاغي، وضم الألفاظ بعضها الى بعض، لكن لم يشر الى ما وراء هذا النظم.
ب. الايقاع الداخلي للآيات، أو النظم الموسيقي في القرآن، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق وغير ذلك من المتقابل بين صفات ومخارج الحروف.
ت. الأثر النفسي الذي يتركه تأليف الآيات في القاريء والسامع.

لكن ابن قتيبة كالجاحظ وقف عند الأمثلة الجزئية دون الربط بينها، فهو عندما يتحدث عن الاستعارة ـ مثلا ـ فانه شغله الشاغل هو الكشف عن الاستعارة، وتأكيد مفهومها الذي حدده الأسلوب، وهو يجمع الآيات التي تتشابه فيها الاستعارات ليؤكد هذه بتلك، ولم يشغل بما ينبض به التعبير من دلالة خفية.

ويمكن القول أن ابن قتيبة واستاذه الجاحظ قد شكلا حلقة متقدمة مهمة في مجال الدراسات البيانية حول اعجاز القرآن.

١. ابو الحسن الرماني ورسالته(النكت في اعجاز القرآن):قدم دراسته هذه بصورة فنية عميقة تتعلق باعجاز الأسلوب القرآني وبالبلاغة كفن من فنون القول، وهو يعرض المعنى الحقيقي للآيات ليبين الدلالة البلاغية ثم يشرحه شرحا فنيا يبين فيه اللمحة الفنية والنفسية، ثم يكشف عن المعنى الثاني الذي وراء ذلك، فكانت دراسته تتوخى التأثير النفسي والوجداني.
وقد وجه اهتمامه نحو البلاغة في القرآن التي يرى أنها أبرز وجوه الاعجاز، فيفصل القول فيها، فيذكر أن البلاغة على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة أدنى طبقة، فما كان في أعلى طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، ثم يسترسل في تفصيل أبواب البلاغة التي حصرها في عشرة أبواب:
الايجاز والتشبيه، والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

لقد كشفت رسالته كثيرا من ألوان الجمال في التعبير القرآني، وكشف عن روعة الأداء والتناسق فيما بين اللفظ والمعنى، وتعمقت في مخاطبة القرآن للغرائز والشعور، وتصويره لخلجات النفس الانسانية، وما وراء تلك الصور البلاغية في القرآن من اثارة للحس، ورسم للعواطف، وتشخيص للمعنى الذهني، فكانت دراسته الفنية عميقة تتعلق باعجاز الأسلوب القرآني، وبالبلاغة كفن من فنون القول.

أمثلة من دراسته البلاغية:

قال تعالى:(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)وهنا استعارة وحقيقتها أجاعها الله وأخافها ، والاستعارة هنا أبلغ لدلالتها على استمرار ذلك كاستمرار لباس الجلد وما أسبهه، وانما قال ذاقوه ، لأنه كما يجد الذائق مرارة الشيء، فهم في الاستمرار كتلك الشدة في مذاقه.

وقال تعالى:(فاصدع بما تؤمر)، قال الرماني"حقيقته فبلغ بما تؤمر، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع".

المحاضرة السابعة

خصائص الاسلوب القرآني

يقصد بالاسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، او بعبارة أخرى:هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

أما المقصود بأسلوب القرآن:هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن أسلوبه الخاص به، فان لكل كلام الهي أو بشري أسلوبه الخاص به، بل تتعدد الأساليب في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات.

<u>الفرق بين الاسلوب والمفردات والتراكيب:</u>

الأسلوب هو غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، لأن الأسلوب هو الطريقة التي ينتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، ولذلك اختلفت الأساليب باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين، مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب(الجمل)واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة، وهذا هو السر في كون القرآن لم يخرج عن معهود كلام العرب.

ومثال الفارق بين الاسلوب والالفاظ والتراكيب مثل صناعة الخياطة والصيدلة او تحضير العقاقير، فالخياطون يتمايزون بينهم في جودة حرفة الخياطة، لأن المادة القماش هي نفس المادة ولكن يمتاز هذا عن ذاك بحسن التفصيل والخياطة عن الآخر، وكذلك الصيادلة يمتاز احدهم عن الآخر من حيث تركيب تلك العناصر والعقاقير.

وان مفردات اللغة منها متآلف في حروفه او متنافر، وواضح الدلالة او خفي، ومنها عام او خاص، مطلق او مقيد، ظاهر او مضمر، حقيقة او مجاز، متآلف الكلمات او متنافرها، واضح المعنى او مقيد، وفيها تقديم او تأخير الى غير ذلك من خصائص الالفاظ والتراكيب.

وهذه المتنوعات من الكلام ليست يحسن استعمالها مطلقا، ولا شيء منها يسوء استعماله مطلقا، بل لكل مقام مقال، فما يحسن في موضع قد يقبح في موضع آخر، وما يجب في مقام قد يمتنع في مكان آخر.

فالأمر يرجع الى حسن الاختيار من هذه المتنوعات بحسب ما يناسب الأحوال والمقامات، فللأذكياء خطابهم وكذا الأغبياء، وهكذا للعقائد خطابها الخاص وللجدل والوعد والوعيد هكذا.

<u>خصائص أسلوب القرآن الكريم:</u>

لا يمكننا الاحاطة او تحديد خصائص اسلوب القرآن او مزاياه التي توافرت فيه فجعلته معجزا، فما نذكره ما هو الا كقطرة من بحر زاخر، فالاحاطة بخصائص القرآن ممتنعة، وما نذكره ما هو الا على سبيل التمثيل.

الخاصية الأولى:مسحة القرآن اللفظية:

ويقصد بها تلك السمة التي تتجلى في جماله اللغوي، من حيث رصف حروفه وترتيب كلماته، ومخارج حروفه، ولذلك يشعر القاريء والسامع بلذة وجلالة وخشوع تنبعث من وحي ذلك الكلام.

الخاصية الثانية:ارضاؤه العامة والخاصة:

فالقرآن لا يحرم منه أحد، اذا قرأته العامة أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، واذا قرأته الخاصة أحسوا جلاله، وذاقوا منه أكثر مما يفهمه العامة منه، وليس كذلك كلام البشر.

الخاصية الثالثة:ارضاؤه العقل والعاطفة:

فأسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع بين الحق والجمال، ومن ذلك آيات اقامة الدليل على البعث والاحياء والاعادة في الآخرة، قال تعالى:(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير).

الخاصية الرابعة:براعته في تصريف القول:

ويقصد به الثروة في أفانين الكلام، وذلك بأن يورد المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة تنقطع دونها انفس البلغاء والفصحاء، ومن ذلك تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بوجوه عدة متنوعة منها:

ـ الاتيان بمادة الأمر صريحة، مثل قوله تعالى:(ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانت الى أهلها).

ـ الاخبار بأن الفعل مكتوب عليهم، قال تعالى:(كتب عليكم الصيام).

ـ الاخبار بكونه على الناس، قال تعالى:(ولله على الناس حج البيت).

ـ الاخبار عن الفعل بأنه خير، قال تعالى:(ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير).

ـ طلب الفعل بصيغة الأمر، = = :(اقيموا الصلاة وآتوا الزكوة).

وهكذا تتعدد الصيغ لتؤدي معنى الأمر والالزام.

وكذلك في النهي تتعدد الصيغ ولا تقف عند النهي الصريح، اذ قد يرد النهي بصيغة بيان سوء عاقبة الفعل، او التهديد والوعيد للفاعل بغضب الله تعالى وعذابه وسوء عاقبته.

الخاصية الخامسة:جمعه بين الاجمال والبيان:

وهاتان الخاصيتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد من لبشر، الا انهما اجتمعتا في القرآن، فاذا قرأت او سمعت جملة فاذا هي بينة مجملة، بينة لوضوح معانيها، واذا امعنت النظر فيها لاحت معاني جديدة كلها صحيحة او تحتمل الصحة، وكلما امعنت النظر ازددت من المعاني والأسرار أكثر.قال تعالى:(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مبصرون*والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم*والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)ففي الآيات اجمال لنواميس كونية، ولكن الآيات فيها رحابة وسعة لدراسة تلك الظواهر الكونية من قبل المتخصصين.

الخاصة السادسة:ترابط الأجزاء وتناسب السرد:

وذلك ما نجده في جودة سبك القرآن واحكام سرده، فبالرغم من تنوع مقاصده وتلون موضوعاته، الا اننا نجد ذلك التآخي بين كلمات جمل القرآن، وتناسق جمال السور، وتناسب السورة مع السور الأخرى، يبدو كأنه سبيكة واحدة مع أنه تنزل خلال مدة ثلاث وعشرين سنة على الأصح.قال تعالى:(قرآنا عربيا غير ذي عوج)

الخاصية السابعة:القصد في اللفظ مع وفائه بالمعنى:

وذلك اننا نجد في كل جمل القرآن بيانا وافيا بحسب ما تحتاجه النفوس البشرية من الهداية الالهية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من الهداية، فلا تجد لفظا دخيلا أو زائدا على المعنى. مثل قوله تعالى:(فاستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم)

الخاصية الثامنة:الفخامة والقوة والجلال:

وهذه الخاصية يكتسبها القران من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال، ومن استخدام ألفاظ التوكيد، والقرآن عندما يورد القصة يبعث فيها الحياة، ويجسد الأمور المعنوية في صور شاخصة متحركة تكاد تشاهدها.مثل قوله تعالى:(ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا*عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا*يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا*ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا*انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا)الخ الآيات{الانسان ٥-١٣}

الخاصية التاسعة:التصوير:

عندما ينقل القرآن الحوار أو يورد القصة يبعث فيها الحياة، ويجسد فيها الصور المعنوية في صور شاخصة متحركة تكاد تشاهدها، مثل قوله تعالى:(ففتحنا ابواب السماء بماء

منهمر*وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر).فهو ينقل الحقيقة مصورة، وأن الماء ليس ماء عاديا، اذن هو منهمر من السماء ومتفجر من الأرض.

الخاصية العاشرة:تلوين الأسلوب بين اللين والقوة:

يتسم الاسلوب القرآني باللين والهدوء عندما يتطلب الأمر تأملا وتدبرا، كما في الآيات التي تدعو الى اعمال الفكر، وفي القصص والأحكام، كقوله تعالى:(وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات وليكون من الموقنين*فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين)الخ الآيات{الانعام٧٥-٧٦).

وحينا يتدفق الأسلوب ويندفع في جمل قصيرة ، مثيرا بذلك الانفعال السريع العنيف، وذلك حينما يتطلب هجوم الحق على الباطل بعنف مثير، قال تعالى:(ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا، وبنين شهودا، ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيد، كلا انه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا) الخ الآيات

او عندما يتطلب الأمر اسراعا في القيام به، كما في قوله تعالى:(يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر)الخ الايات

وهكذا تتنوع أساليب القرآن بحسب الحال والمقام، فجاءت آياته وسوره وعباراته ومفرداته مؤتلفة منسجمة فيما بينها، لا غرابة ولا ثقل ولا تنافر ولا اضطراب فيما بينها، حقق هذا الأسلوب ذلك القدر السامي الذي لا يدانيه كلام البشر، مما أعجز بلغاء العرب وفصحائهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله، ذلك هو كلام الله تعالى المعجز الدال على صدق نبوة نبينا الكريم ﷺ

هذه لمحة عامة ومختصرة جدا عن أهم خصائص التعبير القرآني وأسلوب القرآن الكريم الذي أعجز العرب، فكان معجزة رسولنا الكريم الخالدة الدالة على صدق دعوته وأنه رسول الله تعالى.

المحاضرة الثامنة

الاعجاز بالاخبار عن الغيب

ذهب جماعة من العلماء الى أن اعجاز القرآن متحقق باخباره عن الغيوب سواء كانت الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية، ومعنى ذلك أن القرآن قد اشتمل على أخبار كثيرة لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لمثله أن يعلمها، مما يدل دلالة واضحة على أن هذالقرآن المشتمل على تلك الغيوب لا يتكن أن يكون نابعا من نفس بشرية، بل هو كلام علام الغيوب:(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر)، ومن ذلك قصص الماضي البعيد المتغلغل في القدم، وقصص الحاضر الذي لا سبيل الى رؤيته ومعرفته، وقصص المستقبل الغامض الذي انقطعت الاسباب دونه.

وللعلماء في ما جاء بالقرآن من أخبار الغيب مذهبان:

<u>الأول</u>: ذهب جماعة من العلماء الى اعتباره وجها من وجوه اعجاز القرآن الكريم، وشاهد من شواهده، وكان منهم من اقتصر على هذا اللون من الاعجاز، واعتبره هو الوجه الذي يظهر فيه اعجاز القرآن، ومنهم من يرى أنه وجه من وجوه الاعجاز المتعددة، ومن اجتماعها يتحقق اعجاز القرآن.

وكان من القائلين به يذكر قسما من اقسامه، مثل الاخبار عن قصص الأمم الماضية، او الاخبار عن الأمور المستقبلية، ويعد كل منها وجها معجزا مستقلا عن الآخر، ومنهم من يرى أن الاعجاز الغيبي يشمل الغيوب الثلاثة مجتمعة الماضي والحاضر والمستقبل.

<u>الثاني</u>:يرى الآخرون ان ما جاء في القرآن من اخبار غيبية ليس هو المعجز الذي تحدى به الله الخلق، وان كانت تلك الأخبار معجزة ولا يقدر أحد الاتيان بمثلها، فمثل هذا من الدلائل الدالة على صحة النبوة وصدق المدعي لها لا أنه هو المعجزة المتحدى بها.

وجوه الاخبار بالغيب في القرآن:

١.الاخبار عن غيب الماضي أو (الاعجاز التاريخي):

لقد أنبأ القرآن عن غيوب كثيرة من غيب الماضي، تتمثل في تلك القصص التي تضمنها القرآن الكريم، ولم يكن لمحمد ﷺ بها من سبيل، ومنها قصص الأمم السالفة كقصة نوح وقصة مريم قصص الأمم البائدة كعاد وثمود وفرعون وبني اسرائيل وشعيب، قال تعالى:(تلك من أنباء الغيب ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا).

وكما يورد القرآن قصصا لها مصدر تاريخي آخر كالتوراة وكتب التاريخ فتكون مصدقة لما جاء به القرآن الكريم، فانه يورد قصصا أحرى لم يكن لها مصدر سوى القرآن الكريم، وفي هذا تكمن قيمة تاريخية مهمة فيما يخص اخبار امم أسدل التاريخ دونها الحجاب، كذلك تكمن قيمة تاريخية أخرى لقصص القرآن لكونها تأتي تصحيحا لتلك الوقائع والأخبار التي وقع فيها التحريف عمدا او جهلا،

كما ورد في قصص الأنبياء الذين شوهت التوراة أخبارهم، بما ألصقته من تهم ورذائل ومساويء أخلاقية لا تليق بهم ويتنزهون عنها.

٢.الاخبار عن غيب الحاضر:

ونجد ذلك من خلال ما يلي:

أ. اخباره عن الموجودات الغائبة عنا مما لا يدرك بالحس والمشاهدة، مثل الملائكة والجن، والجنة والنار، وعن الاجرام السماوية وتفصيلاتها، وكذلك اخباره عما يتصل بالله تعالى من صفات وأفعال.
ب. اخباره عن أحوال المنافقين وفضحه لأسرارهم التي خفي على النبي ﷺ أمرها، مثل فضح حقيقة ونوايا الأخنس بن شريق الذي أظهر اسلامه نفاقا لما قدم على النبي في المدينة، قال تعالى:(ومنهم من يعجبك قوله في الحياة الدنيا وهو ألد الخصام*واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)الخ الآيات..
ت. وكذلك اخباره عن حقيقة مسجد الضرا ر الذي بناه المنافقون،قال تعالى:(والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المسلمين)الخ الآيات

هذه من نماذج قرآنية كثيرة في كشف غيب الحاضر حفل بها القرآن الكريم.

٣.الاخبار عن غيب المستقبل:

لقد كشف القرآن الكريم كثيرا عن أحداث وأمور ستقع في قادم الزمان، وتتوالى الأيام وتطوى السنون لتقع الأحداث موافقة تماما لما أنبأ به القرآن سابقا، ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

أ. انتصار الروم على الفرس بعد ان تغلب الفرس على الروم في احد المعارك الكبرى، قال تعالى:(الم*غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين*لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله). ووقعت الأحداث كما أخبر القرآن بانتصار الروم بعد سبع سنين، وتحقق فرح المؤمنين بانتصارهم في معركة بدر بالتزامن بين الحدثين، لأن البضع تعني ما بين الثلاثة الى التسع.
ب. ما ورد في مفتتح سورة الدخان الذي يخبر عما سيجري لأهل مكة من جوع وقحط وطبيعة حالهم في ظلهما، وما سيقع منهم من تضرع الى الله للخلاص من تلك المحنة، ثم كشف الله تلك المحنة عنهم، وعودتهم الى الكفر والعناد، وتهديد الله تعالى لهم بالبطشة الكبرى وهو ما تحقق في معركة بدر، قال تعالى:(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين* ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون*أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين*ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون*انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون*يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون).
ت. تنبأ القرآن الكريم على عدم قدرة أحد على معارضة القرآن، وتنبؤه بمستقبل الاسلام
ث. ضمان الله تعالى لنبيه بالحفظ وحماية شخصه الكريم، وعصمته من أذى الناس، مع أن الراغبين في قتله يحيطون به من كل جهة، قال تعالى:(يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته*والله يعصمك من الناس).فلما نزلت أخرج رسول الله ﷺ رأسه من الخيمة وقال لنفر كانوا يحرسونه على بابها{يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله}.

هذه أهم جوانب موضوع الاعجاز الغيبي وأراء العلماء فيه، ووجوهه التي وردت في القرآن الكريم، مما ليس في امكان بشر معرفته والاطلاع عليه، فجاء القرآن بتلك الأخبار لتدل على أن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك عده قسم العلماء وجها من وجوه اعجاز القرآن.

المحاضرة التاسعة

الاعجاز التشريعي

الاعجاز التشريعي:هو ما جاء به القرآن الكريم من أحكام تشريعية تامة وكاملة تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان، وفاءا لا تظفر به في أي دين ولا تشريع آخر.

وقد ذهب عدد من العلماء المتقدمين الى عد هذا اللون من وجوه اعجاز القرآن، ومن هؤلاء الامام القرطبي الذي ذهب الى أن وجوه الاعجاز عشرة منها:ما تضمنه من علم هو قوام جميع الأمم، في الحلال والحرام وسائر الأحكام.

وقال به عدد من العلماء المعاصرين منهم الشيخ محمد ابو زهرة ومحمد عبدالله دراز، ومحمد رشيد رضا، وعبدالكريم الخطيب والزرقاني وغيرهم.

وذهب بعض الباحثين الى أن الاعجاز التشريعي هو المعجزة الدائمة التي تتحدى البشر في كل زمان ومكان، وأنها المعجزة الأصلية، ويستدلون بأن أحكام القرآن وتشريعاته قد اتسمت بمزايا وخصائص لا توجد في أي تشريع أو نظام آخر، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

١. ان القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق الى الحق بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة، وحسن الأثر، وعموم النفع، مبلغا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمي أن يأتي من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم.
٢. لقد أثبت التقدم الفكري والتقني في العلوم في العصر الحديث أن القرآن قد جمع أصول كل العلوم والحكمة، وأن كل مستحدث من العلوم نجد أن القرآن وجه اليه وأشار.
٣. أن أحكام القرآن خالدة، صالحة لكل زمان ومكان، فلم تحتج على تطاول الدهر الى تعديل في أصولها الكلية، وذلك لما تتصف به من مرونة وسعة قابلة للاجتهاد والاستنباط، مستوعبة كل جديد، قابلة للتطور، منسجمة مع حاجات العصر.
٤. أن تشريعات القرآن تستهدف تحقيق الخير والسعادة للبشر جميعا، فهي تفي بحاجاتهم وتحافظ على حقوقهم، وتحدد واجباتهم، لان قاعدة بناء أحكامها هي(أن المصلحة والتيسير مجلوب، والحرج والضرر مدفوع) .

٥. أن أحكامه تتميز بالشمولية والاستيفاء، فهي شاملة لأحكام الدنيا والآخرة، موفية بكل الموضوعات والمباديء والأنظمة التي يحتاج اليها البشر في كل زمان ومكان، وبما يحقق لهم الاستقرار والطمأنينة، والسعي الى اسعادهم في الدارين.
٦. التكاملية في كل موضوع على حدة حين نجمعه من القرآن، بحيث يؤلف كيانا مؤتلفا ومنهجا كاملا، يقوم على توازن عجيب رغم كونه نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث.
٧. عدم تصادم أحكام القرآن وتشريعاته مع مقتضيات العقول السليمة، وضرورات الحياة، وتطاول الزمن، وتباعد الأماكن.

موضوعات أحكام القرآن وتشريعاته ومقاصده التي جاء بها لتحقيق الرقي والهداية للبشر هي باختصار ما يلي:

أولا. في العقائد:فقد جاءت أحكامه العقائدية ترمي الى تحقيق اصلاح الاعتقاد، والى اصلاح طريق التفكير في الاعتقاد، فجاءت احكام القرآن بسيطة سهلة مناسبة للفطرة، ولا يجافيها العقل السليم، شاملة لكل ما يحتاج اليه البشر، بعيدة عن الاكراه والابهام، غايتها ترسيخ العقائد السليمة، وابطال الزائف واقامة الحجج على بطلانها.

ثانيا.في مجال العبادات:فقد جاءت ترشد الخلق الى ما يزكي النفوس، ويغذي الأرواح، ويقوم السلوك، ويقوم السلوك، ويحقق التكامل في الفرد والمجتمع معا.

ثالثا.في مجال الأخلاق:فقد جاءت بارشاد الخلق الى فضائلها، تنفيرهم من رذائلها، على حد التوسط والاعتدال بلا افراط ولا تفريط، وبتوازن دقيق بين متطلبات الروح والمادة.

رابعا.في المجال الاجتماعي:جاءت احكام القرآن ترشد الخلق الى الوحدة والائتلاف، ومحو العصبيات وازالة الفوارق التي تباعد بينهم، وذلك باشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة، وأن الناس متساوون أمام الله ودينه وشريعته، بلا استثناءات ولا امتيازات.

خامسا.في المجال السياسي والحكم:جاء القرآن بتشريعاته المفصلة التي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتنظم علاقات الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول في حالات السلم والحرب، وتضبط العلاقات الداخلية بين الافراد والجماعات على أسس وقوانين واضحة لا يبقى معها مجال للوقوع في خطأ أو اضطراب.

سادسا.في المجال الاقتصادي:جاءت تشريعات القرآن لتقيم نظاما اقتصاديا شاملا ومتوازنا بين الطبيعة البشرية ومقتضيات حاجة الفرد والمجتمع، يعالج بدقة وجوه التنظيم الاقتصادي للفرد والدولة، ابتداءا من الدعوة الى الاقتصاد وحماية المال، وسبل الكسب الحلال ووجوه الانفاق، الى تنظيم وسائل الانتاج وأساليب التوزيع، وطرق الاستهلاك، وبتوازن تام بين الملكية الخاصة والعامة، واستخلاف الفرد والمجتمع.

سابعا.في مجال حقوق الانسان:جاء القرآن الكريم بقواعد واضحة تحفظ حقوق الناس وتمنع من الاعتداء عليها أو مصادرتها، سواءا المدنية منها أو السياسية، ومن أظهرها منع الاكراه أو الاضطهاد الديني، وتحريم الاستبداد والغطرسة السياسية والفكرية، وتحرير الرقيق

والدعوة بالحاح اليه، وتهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة، وتجنيب المدنيين ويلاتها، فأوجب الرحمة فيها، والوفاء بمعاهداتها.

هذا باختصار اهم جوانب الاعجاز التشريعي في القرآن الكريم والذي حاز على شهادة تفوقه حتى من غير المسلمين، الذين لا يزالون حائرين يبحثون عن النور، فوجدوا في تشريعات القرآن وأحكامه ضالتهم التي ينشدونها، فمنع الخمر في أمريكا في بداية العقد الثالث من القرن العشرين، واباحة الطلاق في أمريكا أيضا، ودعوة مصلحوا أوربا الى تعدد الزوجات، واصدار اسبانيا في فترة قانونا يمنع البغاء الرسمي في بلادها، ويمنع النساء من البروز على الشواطيء في ثياب السباحة، كل ذلك شواهد على نجاعة أحكام القرآن والتي حاول الغربيون تقليدها للخروج من مشاكل اجتماعية وازمات اخلاقية عصفت بكيان تلك المجتمعات.

المحاضرة التاسعة

الاعجاز العلمي

يذهب جماعة من العلماء الى أن من وجوه اعجاز القرآن اشتماله على العلوم والمعارف التي لم يعهدها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولم يشتمل عليها كتاب من قبل، فدع القرآن الناس الى التدبر في هذا الكون ونواميسه، والى ما فيه من مخلوقات، فشد أنظار العلماء اليه في ذلك.

ويعتبر الامام ابو حامد الغزالي أول من أشار اليه حيث قرر في دراسته لاعجاز القرآن ضرورة تفسير آيات قرآنية تحمل دلالات علمية تفسيرا علميا يتناسب مع ما تحمله تلك الآيات من علوم وأسرار، وتابعه الامام الرازي المفسر في مشروعه هذا.

أشار القرآن الى حقائق علمية لم تكن معلومة للناس وقت نزول القرآن، لعدم امكانية التعرف عليها آنذاك، ولما جاء العلم فأثبتها وسيثبت ما لم يعرف منها بعد، كان ذلك دليلا على اعجاز القرآن وانه من عند الله تعالى المحيط بكل شيء.

والناظر في القرآن يجد فيه عرضا من خبير بأسرار الكون محيطا بعلومه في كافة مجالات العلوم، في البر والبحر، في الأرض والسماء، في النجوم والكواكب، في الانسان والحيوان والنبات، قال تعالى:(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون).

ان القول بهذا الوجه من الاعجاز يثبت للقرآن بمجموعه، اذ انه يتحقق به كاملا وليس آية أو آيات دون غيرها. وليس المقصود من هذا أن القرآن كتاب علمي احتوى جميع العلوم جملة وتفصيلا، وانما المقصود أنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته لصلاح دنياه وأخراه، كما أنه ليس معناه أن القرآن جعل العلوم الكونية من موضوعه أو وظيفته، لأن وظيفته هي الهداية والارشاد وانقاذ الانسانية من الضلال، وان ورود مثل تلك الاشارات العلمية هي من قبيل الدعوة الى البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر، قال تعالى:(قل انظروا ماذا في السموات والأرض).

وهناك تيار معارض يتحفظ على اعتبار هذه الاشارات اعجازا قرآنيا، وان كانت تثبت أن القرآن من عند الله تعالى لمبررات ساقوها نذكرها باختصار:

1. **جعل الارتباط بين القرآن والحقائق العلمية وجها من وجوه الاعجاز يعتبر خلطا بين التفسير العلمي وعلم الاعجاز.**
2. **ان اعجاز القرآن دليل على صدق النبوة وان محمدا ﷺ رسول الله، وان التحدي كان بنظمه وأسلوبه وبيانه لا بشيء خارج عنها.**

٣. ان وجود التوافق والانسجام بين الآيات الكونية في القرآن ومعطيات العلم الحديث، ليس دليلا على اعجاز القرآن بل هو دليل على أنه منزل من عند الله.
٤. الآيات الكونية لا تشمل عموم القرآن، والاعجاز يجب أن يتوفر في عموم آيات وسور القرآن، والقول بالاعجاز العلمي يخرج أكثر آيات وسور القرآن من الاعجاز.
٥. ان هذا الوجه لا يتوصل اليه الا بعض العلماء الذين يدركون هذه الحقائق، ومن لم يكن منهم فانه محجوب عن معرفة أسراره.
٦. الحيطة من الوقوع في التمحل وتحميل آيات القرآن ما لا تحتمله لاثبات اعجاز القرآن.
٧. القرآن كتاب هداية وعقيدة وشريعة وليس كتابا علمي، والبحث في هذه المسائل يخرجه عن وظيفته.
٨. ان اعجاز القرآن ثابت وليس بحاجة الى هذا اللون لاثبات اعجازه.
٩. أن معطيات العلوم من نظريات هي متغيرة وغير ثابتة، بينما القرآن الكريم ثابت في أحكامه، وربط الثابت بالمتغير يوقعنا في مزالق لا داعي من الانجرار اليها.

هذه جملة من حجج المانعين للقول بالاعجاز العلمي ورد عليها القائلين به والذين يرون أن هذا اللون هو الأظهر والمناسب لواقعنا المعاصر الذي وصل الى ما وصل اليه في مجالات العلوم المتعددة والكشف عن أسرارها، وفيما يلي جملة من ردودهم على المانعين:

١. أن في القرآن اشارات كثيرة لا تقبل لجدل منها مفصلة ومنها مجملة تشير الى حقائق علمية قد أثبتها الحديث لا يمكن اغفالها.
٢. ان القرآن الكريم جاء مؤيدا لكثير من الحقائق العلمية التي لم يوفق اليها العلماء الا بعد اربعة عشر قرنا من نزوله، وان موافقته للحقائق العلمية هو يدل على أن القرآن كلام الله تعالى والكون خلق الله، واذا كانا كذلك فلا بد من انسجامهما.
٣. ان الاعجاز العلمي اليوم هو أظهر الأدلة على أن القرآن من عند الله، ولاسيما بعد أن فسد اللسان العربي، وفقدت المعايير البلاغية قيمتها، ولم يعد بامكان الناس تذوق البيان.
٤. ان القرآن انزل برسالة خالدة عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان، ولكي يكون دليلا على صدق من أنزل عليه وأرسل به، كان لا بد أن يثبت اعجازه لجميع الأمم حتى تثبت الحجة عليهم.
٥. ان هذا اللون من وجوه الاعجاز لفت نظر المسلمين الى ضرورة الأخذ بالعلوم، والاستفادة من أسباب الرقي والتقدم، لأن كتابهم أرشد الى ذلك وأولاه اهتماما.
٦. ان استكشاف ما جاء في القرآن من اشارات علمية هي لا تعارض كونه كتاب هداية وارشاد، وهذا لايعطي الحق لأهله ولأي سبب بالتمحل والتكلف وتحميل ألفاظ القرآن ما لا تحتمل، أو أن تحمل على النظريات الغير قطعية، لأن الواجب أن لا يحمل الا على الحقائق العلمية الثابتة التي قطع العلم بصدقها ولا مجال للشك فيها.

نماذج قرآنية تتضمن حقائق علمية:

ـ قال تعالى:﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

قال تعالى:﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠]

قال تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

قال تعالى:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]

قال تعالى:﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤]﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤]

قال تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]

قال تعالى:﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنٗا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٥٦]

وهناك وجوها أخرى لا مجال للخوض فيها بسبب ضيق الوقت في الظرف الحالي كالاعجاز العددي والاعجاز النفسي والاعجاز الايقاعي والنغمي.

والحمد لله تعالى وله له امنة والفضل أولا وآخرا.